المد الواجب المتصل وأثره على المعنى التفسيري- الحزب الأول من سورة البقرة أنموذجاً

د. عبد الكريم حمدي الدهشان*

سلم البحث في ١٢/٨/١٤٤٠هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ٢٣/٩/١٤٤٠هـ

ملخص البحث:

الحمد لله الذي أنزل القرآن المعجز للعرب والعجم والصلاة والسلام على سيد الأنام الناطق عن الوحي بالحكم والأحكام وبعد: فقد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز الترابط الدلالي بين المد الصوتي والمعنى التفسيري في سياق إبراز دور أحكام التلاوة وأثرها في التنقيب عن المعاني المرادة في الآيات الكريمة وهذه الطريقة وأمثالها تصب في عبادة التدبر لآيات القرآن الكريم. وقد سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي لأحكام المد الواجب المتصل في الحزب الأول من سورة البقرة، للوصول إلى العلاقة المفيدة بين النص المتلو ومعناه المراد. وخلاصة ما يعكسه المد الواجب المتصل على المعاني التفسيرية يتردد في الاتساع أو الطول أو العمق أو الانتشار أو التنوع أو الكثرة أو البعد، ونظائر هذه المعاني كل حسب وروده في السياق القرآني. ومن أهم ما أوصي به الباحثين والمؤلفين في التفسير والتدبر واقتباس المعاني والتقاطها أن يشمل سائر أحكام التلاوة والتجويد وبيان أثر ذلك على المعنى القرآني.

Abstract:

Praise be to Allah who revealed the miracle of the Qur'an to the Arabs and world. And peace and blessings be upon the Prophet who has speech that explains the wisdom of Islam.

Research Objectives: This study aimed to highlight the semantic connection between the vocal and the explanatory meaning in the context of highlighting the role of the rules of the recitation and its effect in the search for the meanings desired in the verses, this method and its like are poured into the worship of the meditation of the verses of the Quran and the methodology of the study, research the researcher has used inductive methodological of all the rules of the tide of duty The first part of Sura al-Baqarah, in order to reach the useful relationship between the text and its meaning.

The most important results of the study: Summary of what is reflected by the tide of duty connected is all explanatory meanings are:

The breadth, the length, the depth, the spread, the diversity, the abundance or the dimension, and the parallels of these meanings, and each according to its content in the Quran context.

* الأستاذ المشارك في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة.

The most important recommendations presented by the researchers and authors who are specialist in the interpretation and Meditation and the quotation meanings to capture all rules of recitation and Tajweed and the impact on the meaning of the Quran.

المقدمة:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨].

الحمد لله الذي منَّ علينا بدراسة آيات الذكر الحكيم، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي أرسله الله للإنس والجان، وأنزل معه القرآن، فيه الحجة والبيان، والهداية وأسباب الفوز بالجنان، وأسباب النجاة من العقوبات والنيران، أذهل عقول العقلاء، وأخرس ألسنة الفصحاء والبلغاء، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بآية من مثله لعجزوا، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، ومعجزته للعالمين، من استمسك به فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد غوى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً. فالقرآن عجائبه لا تنقضي، وكنوزه لا تفنى، فيه العلاج من كل داء، وفيه الشفاء من كل إعياء، ما ظمئ من نهل منه، ولا استلذ من ارتوى بغيره، وأهل القرآن هم أهل الله من الأنام، وخاصته من بني الإنسان، فهو أولى ما شغل العبد به لسانه، وعمّر به قلبه وجنانه، وأفضل ما يُتوسل به لنيل الغفران، وأعظم ما يتوصل به إلى دخول الجنان.

ومن خصائص القرآن الكريم طريقة قراءته التي تُميِّزه عن غيره، وهي التي اصطلح العلماء على تسميتها أحكام التلاوة والتجويد، والتجويد في الحقيقة هو وصفٌ لقراءة النبي ﷺ بما نقلها الصحابة ﷺ عن رسول الله ﷺ وهو ما تعلَّمه من جبريل | بما أمره به الله سبحانه وتعالى، لذا فإنَّ هذه الطريقة التي اختارها الله تعالى لتلاوة كتابه إنَّما هي بقدر، وإنَّما هي لحكمةٌ بالغة. لذا كان من الواجب على الباحثين أن يطرقوا هذا الباب، وأن يتنافسوا في هذا المضمار، الذي ما زالت الدراسات والأبحاث فيه شحيحة وغير فياضة، إذا ما قُورنت بحجم المؤلفات التي كُتبت بعلم التجويد النظري، لذلك حرص الباحث على أن يُدلي بِدلوه في هذا الميدان، ويُبيِّن أثر أحد هذه الأحكام على المعنى التفسيري، فكان هذا البحث موسوما بعنوان: أثر المد الواجب المتصل على المعنى التفسيري.

أولاً: أهمية الموضوع:

١- بيان أنَّ التجويد أعظم معين على التدبر، إذ يشعر القارئ والسامع بلذَّة وجلالة

وجمال القرآن.

٢- إظهار العلاقة بين القراءة المتلوَّة حسب أحكامها وأصولها، وبين تحقيق التدبر المنشود.

٤- حاجة المكتبة القرآنية إلى تزويدها ببحث مختص يظهر العلاقة بين التجويد والتفسير.

٥- أن الحاجة ماسة في هذا الزمان إلى بيان أهمية تدبر القرآن الكريم، وأثر ذلك في صلاح الأمة وعزتها وقوتها. فالقرآن ليس للتلاوة فحسب؛ بل لتحقيق ثمرة التلاوة وقصدها، ألا وهو التدبر.

٦- ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، وتناوله جانبًا مهمًا وحيويًا في تلاوة القرآن، إذ يعني بإيضاح المعاني المترتبة على التلاوة الصحيحة للقرآن.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١- المساهمة في تحقيق المقصد الأساسي من نزول القرآن الكريم، ألا وهو تدبر معانيه.

٢- التنويه بضرورة تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة في مقام التدريس وفي كل مناحي الحياة حتى نصل إلى المقصد الأساسي للآيات.

٣- الشعور بأهمية تزويد المكتبة القرآنية ببحث مستقل يختص بدراسة هذا الموضوع.

ثالثاً: أهداف البحث:

١- محاولة إبراز الترابط الدلالي والمعنوي بين المد والمعنى، من خلال التأمُّل الهادئ والنظر الدقيق، للوصول إلى بيان العلاقة، دونما تعسف أو ليّ لعنق المعنى ليتوافق مع ما أريد.

٢- تنبيه القراء إلى استثمار الأداء الحسن لتلاوة القرآن الكريم؛ لجذب الناس لفهم معانيه، وتدبرها، وتطبيقها في الحياة.

٣- بيان دور أحكام التلاوة وأثرها في التنقيب عن المعاني المقصودة في آيات القرآن الكريم.

٤- المحافظة على قالب المعنى القرآني صحيحًا قويًا متينًا سليمًا، حتى تبقى المعاني في الألفاظ صحيحة قوية سليمة.

٥- الإعانة على تدبر القرآن الكريم، والمساهمة في نهضة الأمة من خلال التمسك بالقرآن الكريم تلاوةً وتدبرًا وعملاً.

٦- إثارة الموضوع أمام الدَّارسين لينال حظه من الدِّراسة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بذل كثيرٌ من العلماء جهودهم حول هذا الموضوع لأهميته في فهم القرآن الكريم على الوجه المطلوب، فكان من هذه الدراسات:

١- منهج تدبر القرآن الكريم للأستاذ الدكتور حكمت بن بشير ياسين.

٢- مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن الكريم للدكتور منظور بن محمد رمضان.

٣- إبراز المعاني بالأداء القرآني للأستاذ الدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري.

٤- قواعد التجويد وأثرها في المعاني والأحكام، دراسة تحليلية نقدية للدكتور أحمد شرشال.

٥- المنهج النبوي في تدبر القرآن الكريم للأستاذ الدكتور صالح يحيى صواب.

٦- ذوق الحلاوة ببيان علاقة المعنى بإعجاز التلاوة للأستاذ محمد حسين الرنتاوي.

٧- أثر القراءة والتجويد في تدبر الكتاب المجيد، دراسة تأصيلية للدكتور باسم بن حمد ابن حامد السيد.

٨- البيان في روائع القرآن للأستاذ تمام حسان.

٩- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة للأستاذ محمد شملول.

١٠- التأثير الصوتي للقرآن الكريم للدكتور عادل إبراهيم أبو شعر.

١١- مشروع تقعيد التلاوات التدبرية المجودة لدى النشء عوضًا عن تعلم المقامات الموسيقية للأستاذة حفصة بنت محمد سعد اسكندراني.

١٢- الوقف والابتداء وأثره في تدبر القرآن الكريم "نماذج تطبيقية من سورة الفرقان" للباحثة يسرا بنت محمد الشاهد محمود.

خامساً: منهج البحث:

سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي لجميع أحكام المد الواجب المتصل في الجزء الأول، للوصول إلى خلاصةٍ رصينة، وعلاقةٍ متينة في بيان أثر المد الواجب المتصل على التدبر وفهم المعنى، ومن خلال هذا النموذج يتضح أهمية دراسة هذا الموضوع بشكل موسَّع، ويُنبِّه الباحث إلى أنَّه اقتصر على تفسير آية واحدة عندما تكون الكلمة مُكرَّرة في عدة آيات مثل كلمة السَّماء.

سادساً: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطته مشتملة على مقدمة وفصلين وخاتمة،

موزعةً على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، وأسباب اختيار موضوعه، وأهداف الدراسة والغاية من البحث، والدراسات السابقة، بالإضافة إلى منهج الباحث، وهيكلية البحث.

الفصل الأول: الجانب النظري التأصيلي لأثر المد المتصل على المعنى، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المد الواجب المتصل لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: بيان سبب المد الواجب المتصل وحكمه عند القرَّاء العشرة.

المبحث الثالث: أثر أحكام التِّلاوة على المعنى التَّفسيري.

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي العملي لأثر المد المتصل على المعنى في آيات الحزب الأول من سورة البقرة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول
الجانب النظري التأصيلي لأثر المد المتصل على المعنى
المبحث الأول: تعريف المد الواجب المتصل
المطلب الأول: تعريف المد لغةً

قال ابن فارس: "الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالة. تقول: مددت الشيء أمده مدا. ومد النهر، ومده نهر آخر، أي زاد فيه وواصله فأطال مدته"[١]. والمد: الجذب والمطل، ومده يمده مدا فتمدد، وتمددناه بيننا: مددناه، وفلان يماد فلانا أي يماطله ويجاذبه، والتمدد: كتمدد السقاء، وكذلك كل شيء تبقى فيه سعة المد، ومده في غيه أي أمهله وطول له، وشيء مديد: ممدود، ورجل مديد الجسم: طويل، وأصله في القيام، ومنه قولك لرجل: بلغني أنك تزوجت امرأة مديدة أي طويلة، ورجل مديد القامة: طويل القامة، ومد الحرف يمده مدا: طوله[٢]. والمد: الجذب، والمد: كثرة الماء أيام المدود، ومد النهر، وامتد الحبل، هكذا قالته العرب، والمدد: ما أمددت به قوما في الحرب وغيره من الطعام والأعوان، ومد الله عمرك أي جعل لعمرك مدة طويلة، وكذلك كل شيء يبقى فيه شبه المد، والامتداد في الطول، وامتد بهم السير أي طال[٣]. والمدد: مدّ الحبل وغيره فامتدّ، وأمد الجيش، وضمّ إليه ألف رجل مدداً، واستمدّوا الأمير فأمدهم، ومن المجاز: امتدّ النهار والظلّ، وظل ممدود وممتدّ، ومدّ الله الظل، وامتد بهم السّير،

وامتدّت العلّة، ومدّ الله في عمرك، وأقمت عنده مدّة مديدة، وأتيته مدّ الضحى وهو ارتفاعه، وفلان له مالٌ ممدود: كثير[٤].

ومن مجموع هذه التعريفات يمكن لنا أن نخرج بمعنى المد في المفهوم اللغوي بأنَّه ما أفاد: "الجذب، والكثرة، والطول، والمطل، والتوسع، والإمهال، والارتفاع، واتصال الشيء في استطالة، والزيادة والتطاول والانبساط" ومن ذلك يتضح امتداد مصطلح المد ليشمل هذه المعاني جميعها.

المطلب الثاني: تعريف المد اصطلاحاً

عرفه ابن الجزري بقوله: "هو عبارة عن زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي، وهو الذي لا يقوم ذات حرف المد دونه"[٥]. وعرفه علماء التجويد بأنَّه: "إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين أو بحرف من حرفي اللين فقط"[٦].

والمد اصطلاحاً له إطلاقان:

الأول: إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين أو بحرف من حروف اللين إذا لقيه همز أو سكون.

والثاني: إثبات حرف مد في الكلمة من غير إطالة الصوت به ويقابله القصر"[٧].

و**أما حروف المد فثلاثة وهي:**

١. الألف، ولا تكون إلا ساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، نحو: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس:١٥].

٢. الواو الساكنة المضموم ما قبلها، نحو: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن:١٣].

٣. والياء الساكنة المكسور ما قبلها، نحو: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:٢٠].

وهي مجموعة في (واي) ومجتمعة في كلمة: ﴿نُوحِيهَا﴾ [التغابن:١٣]، **وحرفا اللين هما:** الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما، نحو:﴿قُرَيْشٍ﴾ [قريش:١]، ﴿فِرْعَوْنَ﴾ [البروج:١٨]" [٨].

المطلب الثالث: تعريف المد الواجب المتصل

"هو أن يأتي حرف المد وبعده همزٌ في الكلمة نفسها، نحو: ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩]"[٩]، "وسُمِّي واجباً: لأنه يجب على كل قارئ مده أربع أو خمس حركات، وسُمِّي متصلاً: لأن همزة القطع وقعت بعد حرف المد في كلمة واحدة متصلين غير منفصلين، مثال: (جاء- جيء- السماء- الملائكة- أولئك)" [١٠].

المبحث الثاني
بيان سبب المد الواجب المتصل وحكمه عند القرَّاء العشرة
المطلب الأول: بيان سبب المد الواجب المتصل

بدايةً لا بُدَّ أن يُشير الباحث إلى إنَّ حروف المد الثلاثة بطبيعتها لا بد أن يكون عند نطقها مد، وإن كان قليلاً، إلاَّ أنَّه قد يزاد في مدها وطول الصوت بها ضعفاً واحداً أو ضعفين، وحينها لا يكون ذلك إلا لسبب، وللمد سببان رئيسان وهما: الأول: المد بسبب السكون، والثاني: المد بسبب الهمز.

وسبب المد الواجب المتصل مجيء الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة، يقول الإمام أبو عمر الداني: "اعلم أن الهمزة إذا كانت مع حرف المد واللين في كلمة واحدة سواء توسطت او تطرفت فلا خلاف بينهم في تمكين حرف المد زيادة وذلك نحو قوله عز وجل: ﴿شَاءَ الله﴾ و﴿الْمَلَائِكَة﴾ و﴿يضيء﴾ و﴿هاؤم اقرؤوا﴾ وَشبهه"(١١).

المطلب الثاني: حكم الواجب المتصل عند القرَّاء العشرة.

نافع المدني	ابن كثير المكي	أبو عمرو البصري	ابن عامر الشامي	عاصم الكوفي
حمزة الكوفي	الكسائي الكوفي	أبو جعفر المدني	يعقوب الحضرمي	خلف العاشر

وهذا المد المتصل حكم مده عند جميع القراء العشرة الوجوب، قال ابن الجزري': "فأما المتصل فاتفق أئمة أهل الأداء من أهل العراق إلا القليل منهم وكثير من المغاربة على مده قدراً واحداً مشبعاً من غير إفحاش ولا خروج عن منهاج العربية"(١٢).

أمَّا دليل هذا الوجوب فهو أنَّ القرآن نُقل إلينا بالتواتر بنقل الجموع عن الجموع الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب، بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ وهو ما تعلَّمه من جبريل عليه السلام بما أمره به الله سبحانه وتعالى، ويُؤيد ذلك ما رُوي من حديث قتادة رضي الله عنه أنه قال: سألت أنس بن مالك، عن قراءة النبي ﷺ فقال: (كان يمد مداً) (١٣)

المبحث الثالث
أثر أحكام التِّلاوة على المعنى التَّفسيري

إنَّ من خصائص القرآن الكريم وإعجازه، طريقة قراءته التي تُميِّزه عن غيره، وهي التي اصطلح العلماء على تسميتها أحكام التلاوة والتجويد، والتجويد في الحقيقة هو وصفٌ لقراءة النبي ﷺ بما نقلها الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ وهو ما تعلَّمه من

جبريل بما أمره به الله سبحانه وتعالى، لذا فإنَّ هذه الطريقة التي اختارها الله تعالى لتلاوة كتابه إنَّما هي بقدر، وإنَّما هي لحكمةٌ بالغة.

وإنَّ القراءة المجودة من أهم السبل المعينة والمحققة لفهم كتاب الله تعالى، والتدبر في معانيه، ولقد اختار الله تعالى اللسان العربي مظهراً لوحيه، حيث كان لسانهم أفصح الألسن، ولغتهم أكثر اللغات تحملاً للمعاني مع إيجاز اللفظ، واللفظ هو روح المعنى، فبضعفه يضعف المعنى، وبقوته يقوى، وإن دراسة قواعد تجويد القرآن الكريم هي التي تعنى بهذه الألفاظ، وتحافظ على قالب المعنى صحيحاً قوياً متيناً سليماً، واللفظ إنما يؤدى كما أُنزل وكما قرأه النبي ﷺ وأقرأه، ولا يمكن قراءته إلا بالهيئة المتلقاة الكاملة دون زيادة أو نقصان(١٤).

وما أروع ما قاله ابن الجزري: "فالتجويد هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيئته؛ من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف"(١٥).

ومما لا شك فيه أيضًا أن ترتيل الكلمة القرآنية يعطي معانٍ وأحكامًا جديدةً لا تكون واضحة حينما نقرأ القرآن من غير مراعاة الأصول الصحيحة في تلاوته، فإن إظهار النون الساكنة والتوين، أو إدغامها في بعض الحروف الأخرى، أو مدَّ بعض الحروف، إضافةً إلى باقي أحكام التلاوة يعطي المعاني الحقيقية لآيات القرآن الكريم، فمثلاً: الإظهار يدل على الالتصاق والفورية والأمور القطعية، والغنة تعطي المسافة والمهلة.

"لذا فإنَّه يجب علينا أن نقرأ القرآن كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ. وكما قرأه الرسول ﷺ على أصحابه بتؤدة واطمئنان وتأن وترسل مع إعطاء الحروف حقها من المخارج والصفات، ومستحقها من المد، والغنة، والإظهار، والإدغام، والإخفاء، والتفخيم، والترقيق، وتجويد الحروف، ومعرفة الوقف والابتداء.. إلخ..... فقراءة القرآن بأحكام التلاوة تظهر لنا المعاني الحقيقية للنص القرآني بآفاقها الواسعة .. بل إننا يمكن لنا أن نستنتج منها أحكام في قضايا معينة"(١٦)

وهذه مجموعة من الأمثلة في بيان المعنى من خلال مد بعض الحروف، لنعرف أنَّ هذا المد لم يأت عبثاً، وإنما جاء لبيان أهمية هذه الكلمة وأنَّها تدل على شيءٍ مخصوص غير عادي، ومثل هذه الكلمات كثيرة جداً في القرآن الكريم وهذه

بعضها: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات:٣٤]. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة:٢٢]. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٣٩]. ﴿.... وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

فحينما ننظر إلى هذه الكلمات نجد أن كلاً منها يدل على شيءٍ عظيم غير عادي؛ لذا جاء المد ليزيد المعنى... وحينما نقارن المد في كلمة ﴿الطَّامَّةُ﴾ بعدم وجوده في كلمة قرآنية قريبة في المعنى وهي «القَارِعَة»، نجد أنَّ عدم وجود المد في القارعة مطلوب بشدة لتحقيق معناها وهو أنَّها تقرع آذان الناس وهو شيء لا يستلزم زمناً فهو لحظي ليدل على الفجأة ولا يحتاج مداً ولا مدَّة(١٧).

الفصل الثانى
الجانب التطبيقى العملى لأثر المد الواجب المتصل على المعنى في آيات الحزب الأول من سورة البقرة.

التطبيق العملي للمد الواجب المتصل على آيات النصف الأول من الحزب الأول

المطلب الأول

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]

المعنى العام للآية:

"الموصوفون بتلك الصفات الحميدة على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة، وهل الهداية الحقيقية إلا هدايتهم، وما سواها مما خالفها، فهو ضلالة، وأتى بـ "على "في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ "في" كما في قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتَقر، ثم قال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل، فهي سبل الشقاء والهلاك والخسارة التي تفضي بسالكها إلى الهلاك"(١٨).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة «أُولَئِكَ » على المعنى التفسيري:

لا شكَّ أنَّ هذه الفئة من الناس والتي اتَّصفت بالإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق، والإيمان بالقرآن وبكل الكتب السماوية السابقة، قد انعكست هذه الأعمال على جوراحهم وأركانهم وحركاتهم وسكناتهم، فامتدَّت في كل ميدان، وتمدَّدت في كل

زمان، فعندما يقرأ القارئ هذه الكلمة ويطيل الزمن في حرف الألف، يسمح للعقل ليتفكر بنصيبه من هذا الأثر، وبذلك يظهر لنا شيئا من الحكمة في وجود المد المتصل في كلمة أولئك.

وكذلك يشير المد في هذه الكلمة إلى وجود هذه الفئة من المؤمنين على طول امتداد الزمان، من بداية البعثة النبوية يوم كان الصحابة أفراداً قليلة، وإلى يومنا هذا بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام، وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى ذلك في مجموعةٍ من الأحاديث، ومنها: عن ثوبان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[١٩].

المطلب الثاني

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]

المعنى العام للآية:

بعد أن ذكرت الآية الأولى صفات المفلحين، الذين هم على هدايةٍ من ربهم، جاءت هذه الآية لتُبيِّن صفات الخاسرين، قال أبو السعود: " كلام مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل"[٢٠]، وقال سيد قطب: "وهنا نجد التقابل تاماً بين صورة المتقين وصورة الكافرين.. فإذا كان الكتاب بذاته هدى للمتقين، فإن الإنذار وعدم الإنذار سواء بالقياس إلى الكافرين. إن النوافذ المفتوحة في أرواح المتقين، والوشائج التي تربطهم بالوجود وبخالق الوجود، وبالظاهر والباطن والغيب والحاضر.. إن هذه النوافذ المفتحة كلها هناك، مغلقة كلها هنا. وإن الوشائج الموصولة كلها هناك، مقطوعة كلها هنا"[٢١].

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿سَوَاءٌ﴾ على المعنى التفسيري:

إنَّ هذه الآية الكريمة تُبيِّن لنا حقيقة الكافرين، ومدى تعمُّق الكفر في نفوسهم، لذلك ابتدأت الآية بحرف توكيد وهو «إنَّ» ثمَّ جاءت كلمة «سَوَاءٌ» بالمد الواجب المتصل، وكأنَّها تحكي لنا: أنَّه مهما امتدَّت دعوة النبي ﷺ لهؤلاء القوم، ومهما امتدَّ الزمان في نصحهم، فلن يزيدهم ذلك إلا بُعداً عن الإيمان، وإذا أردنا أن نرى صوراً لمثل هذا الامتداد، فعلينا أن نتدبَّر في قصة نوح عليه السلام والَّذي استمر في دعوة قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، واستخدم معهم كلَّ وسائل الدَّعوة ثمَّ النتيجة: فما آمن معه إلا قليل.

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً كل الحرص على إيمان قومه، وحسبُنا في ذلك قول الله عز وجل: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣] وروى الطبري "عن ابن عباس' قال: كان رسول الله ﷺ يحرِصُ أن يؤمن جميعُ الناس ويُتَابعوه على الهدى، فأخبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمنُ إلا من سبق له من الله السعادةُ في الذِّكْر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاءُ في الذكر الأول"(٢٢)، ولقد امتدَّت دعوة النبي ﷺ لأهل مكة ثلاث عشرة سنة، فجاء المد المتصل في الكلمة مُعبِّراً عن طول هذه المدَّة وعدم انتفاعهم بها.

المطلب الثالث

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]

المعنى العام للآية:

"أي وإذا قيل للمنافقين: آمنوا إيماناً صادقاً لا يشوبه نفاقٌ ولا رياء، كما آمن أصحاب النبي ﷺ، وأخلصوا في إيمانكم وطاعتكم لله «قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ» الهمزة للإنكار مع السخرية والاستهزاء أي قالوا أنؤمن كإيمان هؤلاء الجهلة أمثال: صهيب، وعمار، وبلال ناقصي العقل والتفكير؟! قال البيضاوي: وإنما سفَّهوهم لاعتقادهم فسادَ رأيهم، أو لتحقير شأنهم، فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾» أي ألا إنهم هم السفهاء حقاً، لأن من ركب متن الباطل كان سفيهاً بلا امتراء، ولكن لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل، وذلك أبلغ في العمى، والبعد عن الهدى، أكَّد وَنبَّه وحصر السفاهة فيهم"(٢٣).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿السُّفَهَاءُ﴾ على المعنى التفسيري:

إنَّ المد الواجب المتصل في هذه الكلمة يُبيِّنُ لنا منهجاً وأسلوباً من أساليب المنافقين، أسلوباً امتدَّ استخدامهم له مع جميع الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، إنَّ هذا الأسلوب هو اتِّهام المؤمنين بالسَّفه وخفة العقل وقلَّة الدِّراية بالأمور ومحاسنها ومساوئها، فقوم نوح إقالوا له استهزاءً به: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ [المؤمنون:٢٥]، وقالوا له استهزاءً بأتباعه: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧]، وقوم هود قالوا لنبيهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود:٥٤]، وهذا فرعون أيضاً يُريد أن يُخلِّط الأمر على قومه فيقول لهم: ﴿أَمْ أَنَا

خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥٢]، فالمد الواجب المتصل يتناغم مع استخدام المنافقين والكافرين لهذه الإشاعات على مدار جميع الأنبياء عليهم السلام، وفي جميع الأزمان، وكذلك يتناغم المد الواجب المتصل، مع حرص الكافرين والمنافقين في نشر إشاعاتهم وضلالاتهم لتمتد إلى كلِّ شرائح المجتمع، وكذلك يتناغم المد الواجب المتصل، مع استخدام الكافرين لكل الوسائل القديمة والحديثة والسياسية والعسكرية لأجل أن تمتدَّ إشاعاتهم لتحرف المؤمنين عن منهاج ربِّهم.

المطلب الرابع

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]

المعنى العام للآية:

قد جاءت هذه الآية في خِتام الحديث عن صفات المنافقين، لتُبيِّن خسارتهم وعدم انتفاعهم بأساليبهم الفاسدة، ووسائلهم الكاسدة، "فهؤلاء إذ اختاروا الضلالة بدل الهداية كانوا كالتاجر الذي يختار لتجارته البضاعة الفاسدة الكاسدة فلا يربح في تجارته، ويضيع رأس ماله، وهم في عملهم غير مهتدين"(٢٤).

فإن قلت: كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى؟، قلت: جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم، فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به، ولأن الدين القيم هو فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضَّلالَةَ الجور عن الفصد وفقد الاهتداء. فإن قلت: كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها؟ قلت: هو من الإسناد المجازى(٢٥).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة « أُولَئِكَ » على المعنى التفسيري:

إنَّ عدد سكان الأرض قريباً من سبع مليار نسمة، وعدد المسلمين منهم مليار وثمانمائة مليون، أي: ثلث العدد فقط، فأغلب أهل الأرض في هذا الزَّمان بل وفي كل زمان، هم على غير الدِّين الذي ارتضاه الله للعبيد، بل إنَّ هذه حقيقة قرآنية: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] والنبي ﷺ قد أخبر بذلك ففي الحديث: (يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ قال: «أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل» ثم قال: «والذي نفسي بيده، إني

لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال: فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو الرقمة في ذراع الحمار)[٢٦]، وإنَّ صدر سورة البقرة قد حدَّثنا عن أقسام النَّاس الثلاثة، المؤمنون في أربع آيات، والكافرون بآيتين، والمنافقون بثلاث عشرة آية، فمجيء المد الواجب في كلمة ﴿أُولَئِكَ﴾ يوضح لنا حجم امتداد الكفار على هذه الأرض، على اختلاف أشكالهم ومسمَّياتهم، ويوضح لنا أيضاً عمق بعدهم عن الحق، الذي أصبح بينهم وبينه أمداً بعيداً.

المطلب الخامس

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]

المعنى العام للآية:

قال ابن القيم: "شبه سبحانه أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا نارا لتضيء لهم، وينتفعوا بها فلما أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم وما يضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين. فهم كقوم سفّر ضلوا عن الطريق، فأوقدوا النار تضيء لهم الطريق، فلما أضاءت لهم فأبصروا وعرفوا طفئت عنهم تلك الأنوار، وبقوا في الظلمات لا يبصرون، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث؛ فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب، مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينه ويعقله بقلبه. وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئا، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها"[٢٧].

أثر المد الواجب المتصل في كلمة « أَضَاءَتْ » على المعنى التفسيري:

إنَّ وجود المد الواجب المتصل في كلمة ﴿أَضَاءَتْ﴾ يساعد القارئ في الفهم الصحيح، ويُرشده إلى التفسير الصريح، فوجود المد في الكلمة يُبيِّن للقارئ مدى انتشار هذا الضوء، وحجم الانتفاع الكبير لهم من هذا الضوء، وإنَّ ممَّا يُؤيد هذه الدَّلالة للمد ما جاء بعدها ﴿مَا حَوْلَهُ﴾، يقول العلاَّمة السَّعدي: "فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل،

وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ "[٢٨].

المطلب السادس

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]

المعنى العام للآية:

قال ابن القيم: "شبه الله تعالى الهدى الذي هدى به عباده بالصيب. لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق، ولا نصيب له فيما وراء ذلك، مما هو المقصود بالصيب من حياة البلاد والعباد، والشجر والدواب، فإن تلك الظلمات التي فيه، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب.

فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق، ولوازم ذلك: من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره، وصانع عن صنعته، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام، وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل، لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب. وهذه حال أكثر الخلق، إلا من صفت بصيرته. فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق، والتعرض لإتلاف المهجة والجراحات الشديدة، وملامة اللوام، ومعاداة من يخاف معاداته. لم يقدم عليه، لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة، والغايات التي إليها تسابق المتسابقون، وفيها تنافس المتنافسون"[٢٩].

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿السَّمَاءِ﴾ على المعنى التفسيري:

إنَّ من يقرأ القرآن الكريم، عندما ينطق كلمة ﴿السَّمَاءِ﴾ ويمدُّ بها صوته، يستحضر في ذهنه ضخامة هذه السماوات، وعظيم خلقها، وبديع إنشائها، فعند نطق القارئ هذه الكلمة وتوسيع المدَّة الزمنية في قراءتها يسمح للعقل ليسبح في استحضار هذه العظمة، التي تدل على عظمة الخالق جل شأنه.

وممَّا يُدلِّل على عظيم خلق السماوات أن كلمة السماء ذُكرت في القرآن الكريم (١٢٠) مرَّة، بينما وردت كلمة السماوات (١٩٠) مرَّة[٣٠]، بل إن آيات القرآن جعلت

خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الإنسان نفسِه ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧].

وإن العلم الحديث قد كشف لنا طبيعة هذه السماوات، فظهر لنا ما لم يظهر للمفسرين والعلماء الذين سبقونا، وكان لهم الأثر الأكبر في توضيح معاني الذكر الحكيم، لكنَّه كلام الله الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنفذ غرائبه، بل كلَّما تقدَّمت الإنسانية، وكلَّما تطوَّر العلم، كلَّما كشف لنا أدلَّةً على صدق الوحي والنبوة، ومن ذلك ما تحمله كلمة السماء، والتي جاء به المد الواجب المتصل.

فالمد في لفظة السماء جاء متصل، فهل السماء في ذاتها ممتدة؟ يقول الكفوي: "السَّمَاء: كل أفق من الْآفَاق فَهُوَ سَمَاء، كَمَا أَن كل طبقَة من الطباق سَمَاء"(٣١)، "والأفق ممتد بل وما يزال يتمدد ويتسع، فقد اكتشف العلماء أخيراً أن كل المجرات تبتعد عن بعضها بسرعات تتناسب مع أبعادها عنا وعن بعضها بعضاً، وقد ظهر أنَّ المجرات البعيدة عنا بأسرع مما تبتعد به المجرات القريبة، وأن أسرع معدل للابتعاد حتى الآن أمكن قياسه ب ٤٠٠٠٠ ميل في الثانية، إنهم يعلنون إذن أن الكون يتسع ويتمدد ويقولون إنه في اتساع دائم .... فلقد أصبح تمدد الكون واتساعه حقيقة علمية وأصبح يعد من أعظم الظواهر التي اكتشفها العلم الحديث، فهو كالبالونة التي تنفخ كل يوم نفخة فتتسع البالونة بقدر النفخ، إلى أن يأتي يوم ينفخ فيها نفخة واحدة فتنفجر البالونة، وينتهي كل شيء. فالسماء في تمدد وزيادة واتساع وتعال بنا نقرأ قول المولى عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧] ومن هنا يمكن لنا الرَّبط بين تمدد السماء واتساعها، وهذا المد المتصل في لفظها"(٣٢).

المطلب السابع

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]

المعنى العام للآية:

" يقارب البرق –من شدة لمعانه– أن يسلب أبصارهم، ومع ذلك فكلَّما أضاء لهم مشَوْا في ضوئه، وإذا ذهب أظلم الطريق عليهم فيقفون في أماكنهم. ولولا إمهال الله لهم لسلب سمعهم وأبصارهم، وهو قادر على ذلك في كل وقتٍ، إنه على كل شيء قدير"(٣٣).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة «شَاءَ» على المعنى التفسيري:

إنَّ قدرة الله تعالى لا يحُدُّها زمان، ولا يُقيِّدُها مكان، بل قدرة الله تعالى في كل شيء، وعلى كل شيء، ومع كلِّ شيء، فما أراده الله كان، وما لم يُرده لم يكن، وقد جاء المد الواجب المتصل في كلمة ﴿شَاءَ﴾ مُشيراً إلى هذه القدرة، ومُنبهاً على هذه الإرادة، فقدرة الله تعالى مُمتدة في كلَّ شيء، وممتدة في كل مكان، فقارئ القرآن عندما ينطق بهذه الكلمة، ويزيد من الزمن في نطقها، يسمح لعقله أن يقف وقفة تأمُّل وتفكُّر في هذه القدرة.

المطلب الثامن

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

المعنى العام للآية:

إنَّ تعبير الآية يشي باليسر في حياة البشر على هذه الأرض، وفي إعدادها لهم لتكون لهم سكناً مريحاً وملجأ واقياً كالفراش، والناس ينسون هذا الفراش الذي مهده الله لهم لطول ما ألفوه، أمَّا السماء ففيها متانة البناء وتنسيق البناء، والسماء ذات علاقة وثيقة بحياة الناس في الأرض، وبسهولة هذه الحياة، وهي بحرارتها وضوئها وجاذبية أجرامها وتناسقها وسائر النسب بين الأرض وبينها، تمهد لقيام الحياة على الأرض وتعين عليها. فلا عجب أن تذكر في معرض تذكير الناس بقدرة الخالق، وفضل الرازق، واستحقاق المعبود للعبادة من العبيد المخاليق، وذكر إنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات به، ما يفتأ يتردد في مواضع شتى من القرآن في معرض التذكير بقدرة الله، والتذكير بنعمته كذلك.. والماء النازل من السماء هو مادة الحياة الرئيسية للأحياء في الأرض جميعاً. فمنه تنشأ الحياة بكل أشكالها ودرجاتها، وقصة الماء في الأرض، ودوره في حياة الناس، وتوقف الحياة عليه في كل صورها وأشكالها.. كل هذا أمر لا يقبل المماحكة، فتكفي الإشارة إليه، والتذكير به، في معرض الدعوة إلى عبادة الخالق الرازق الوهاب(٣٤).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، ﴿السَّمَاءِ مَاءً﴾ على المعنى التفسيري:

أمَّا كلمة «السَّمَاءَ» فقد بيَّن الباحث أثر المد المتصل عليها، أمَّا كلمة: ﴿بِنَاءً﴾ فالمد الواجب المتصل يُبيِّن لنا ما في خلقها من إحكام، فقد جاء في تيسير

التفسير: "وفي هذه الآية جزء من دلائل الإعجاز في القرآن الكريم: وهو قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، ففي ذلك معنى ما كان يمكن أن يعرفه النبي الأميّ إلا بوحي من الله. فالسماء في المعنى العلمي هي كل ما يحيط بالأرض في أي اتجاه، والى أي مدى، وعلى أية صورة، ويشمل ذلك الجوّ المحيط بالأرض إلى ارتفاعات تنتهي حيث يبدأ الفراغ الكوني الشاسع بما فيه من الأجرام السماوية المنتشرة في أعماقه السحيقة على اختلاف أشكالها وأحجامها. وهي تتحرك في نظام بديع عجيب، على أساسه يتوالى ظهورها واختفاؤها لسكان الأرض. وهي جميعاً في دورانها وترابطها بقوى الجاذبية، كالبنيان في تماسكه واتزانه، وتدّرجه طبقة بعد طبقة.

وكل هذا لم يكن معروفاً للعلم في عصر محمد ﷺ وفي الجزء الأدنى من السماء، وهو الحد المحيط بالأرض القريبُ منها مباشرة توجد الطبقات الجوية المختلفة الواقية من الإشعاعات الضارة عن أرجاء الكون، والتي لا تسمح إلا للأشعة المنيرة منها بالنفاذ، فهي كالمضلات الواقية. وفي هذه الطبقة يكون السحاب ومنه المطر"(٣٥).

وأمَّا كلمة: ﴿مَاءً﴾ فالمد الواجب المتصل يُبيِّن لنا الحجم الذي تأخذه الماء من مساحة الأرض، بالنسبة لليابسة، فمن الحقائق العلمية " أنَّ الماء هو أساس وجود الحياة على كوكب الأرض، وهو يغطي ٧١% من سطحها"(٣٦). فالماء إذاً ممتداً على أغلب كوكب الأرض، والماء أيضاً ممتداً في كل الأحياء، لذا جاءت لفظة الماء بالمد الواجب المتصل.

المطلب التاسع

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]

المعنى العام للآية:

"أي يا أيها الناس عليكم – بعد أن تنسلوا من مضايق الوساوس، أن تهرعوا إلى الحق فتطلبوه ببرهانه، وأن تبادروا إلى ما دعيتم إليه فتأخذوه بربانه، فإن خفي عليكم الحق بذاته، فهذه آية من أظهر آياته، وهي عجزكم عن الإتيان بسورة من مثل سور القرآن من رجل أمي مثل الذي جاءكم به، وهو عبدنا ورسولنا محمد ﷺ، وإن عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله تساوي سورة في هدايتها، وتضارعها في أسلوبها وبلاغتها– وأنتم فرسان البلاغة، وعصركم أرقى عصور الفصاحة، وقد اشتهر كثيرون

منكم بالسبق في هذا الميدان ولم يكن محمد ﷺ ممن يسابقكم من قبل هذا البرهان؛ لأنه لم يؤت هذا الاستعداد بنفسه، ولم يتمرن عليه أو يتكلفه لمباراة أهله– فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعين سنة فأعجزكم بعد سبقكم لم يكن إلا بوحي إلهي، وإمداد سماوي، لم يسم عقله إلى علمه، ولا بيانه إلى أسلوبه ونظمه"(٣٧).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿ شُهَدَاءَكُمْ﴾ على المعنى التفسيري:

إنَّ القرآن الكريم هو كتاب هدايةٍ وإعجاز، فهو معجزة النبي ﷺ التي تحدَّى بها العرب قاطبةً أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سورٍ مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وقد سطَّر القرآن الكريم عليهم هذا العجز وأثبته في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وإنَّ المد الواجب المتصل في كلمة ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾ يكشف لنا أنَّ ميدان التحدِّي مفتوح وممتد أمام المنكرين ليستدعوا كل أعوانهم، وكل جنودهم، وكل فصحائهم، ليأتوا بسورةٍ من مثله، وآية الإسراء تُبرز هذا المعنى، كما أنَّ المد الواجب المتصل في كلمة ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾ يكشف لنا أنَّ ميدان التحدِّي ممتد من العهد الأوَّل للرسالة إلى قيام الساعة، ولن يستطيعوا ذلك.

المطلب العاشر

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]

المعنى العام للآية:

يقول الشعراوي: "أخبرنا الحق تبارك وتعالى أن الفاسقين هم المبتعدون عن منهج الله. وأراد الحق أن يبين لنا صفات الفاسقين. فحددها في ثلاث صفات، أولاً: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. ثانياً: الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل. ثالثاً: الذين يفسدون في الأرض. ثم حدد لنا الحق تبارك وتعالى حكمهم فقال: أولئك هم الخاسرون. والخسران أن الذي وصلوا إليه هو من عملهم. لأنهم تركوا المنهج وبدأوا يشرعون لأنفسهم بهوى النفس. ولذلك يقول الحق جل جلاله عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] إذن هم الذين اختاروا، وهم الذين اشتروا الضلالة ودفعوا ثمنها من هدى الله. فكأنهم عقدوا صفقة خاسرة. لأنَّ هدى الله هو الذي يقودنا إلى الحياة الخالدة والنعيم الذي لا

يزول"(٣٨).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿أُولَئِكَ﴾ على المعنى التفسيري:

ممَّا لا شك فيه عند العقلاء أنَّ من ترك طريق الحق واتبع طريق الباطل، فقد خسر كل شيء، وإن كان في ظنِّه أنَّه قد ربح كل شيء، ومجيء كلمة ﴿أُولَئِكَ﴾ بالمد الواجب المتصل، بعد ذكر صفات الخاسرين، تُبيِّن لنا أن حجم خسارة أولئك قد امتدَّ إلى كل شيء، فقد خسروا الدنيا، وخسروا الآخرة، وأمَّا امتداد خسارتهم في الدنيا فهي ما يعيشونه من ضنك وهم وغم والتَّي بيَّنته سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "فكل من خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة"(٣٩).

المطلب الحادي عشر

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]

المعنى العام للآية:

يقول الجزائري: "يأمر تعالى رسوله أن يذكر قوله للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ يخلفه في إجراء أحكامه في الأرض، وإن الملائكة تساءلت متخوفة من أن يكون هذا الخليفة ممن يسفك الدماء ويفسد في الأرض بالكفر والمعاصي قياساً على خلق من الجن حصل منهم ما تخوفوه. فأعلمهم ربهم أنه يعلم من الحكم والمصالح ما لا يعلمون، والمراد من هذا التذكير: المزيد من ذكر الأدلة الدالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة للإيمان به تعالى ولعبادته دون غيره"(٤٠).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ ﴿الدِّمَاءَ﴾ على المعنى التفسيري:

لقد أخبرنا النبي ﷺ عن كثرة الملائكة عن أبي ذر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ)(٤١). ومجيء المد الواجب

المتصل في كلمة ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ يظهر لنا هذا الامتداد للملائكة سواءً كان امتداداً في عظيم خلقهم، أو امتداداً في رفعة شأنهم، "والملائكة كما جاء وصفهم في القرآن الكريم ذوو أجنحة متزايدة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١] إذاً فالله سبحانه وتعالى يزيد في خلق الملائكة ما يشاء، أي يمدهم في الخلق، لأنَّ المد هو الزيادة، ثم لننظر في وصف الملائكة كما وردت في الأحاديث الصحيحة، فقد ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود ﷺ أنَّ النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح. فأي امتدادٍ هذا، والأحاديث كثيرة في هذا الباب، وبذلك نصل إلى إيضاح العلاقة في هذا المد المتصل في لفظ ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾ بهذه المعاني المتصلة بذات الملائكة[٤٢].

وأمَّا مجيء المد الواجب المتصل في كلمة ﴿الدِّمَاءَ﴾ فالعلاقة أوضح من أن تحتاج إلى توضيح، فبنظرةٍ واحدةٍ إلى العالم، وبمطالعةٍ سريعةٍ لتاريخ البشرية، سيتبيَّن لنا حجم السفك الكبير للدماء، فقد امتدَّ هذا السفك في سائر الأزمان، وتمدَّد في كل مكان، فكان المد في الكلمة، هو أبلغ بيان.

المطلب الثاني عشر

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]

المعنى العام للآية:

يقول الزحيلي: "وعلم الله آدم أسماء الأشياء والأجناس المادية، من نبات وجماد وإنسان وحيوان، مما تعمر به الدنيا، ثم عرض مجموع المسميات على الملائكة، أو عرض نماذج منها، لقوله ثم عرضهم لأن العرض لا يصح في الأسماء. وقال لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء، إن كنتم صادقين في ادعائكم أنكم أحق بالخلافة من غيركم، فعجزوا، وقالوا: يا رب سبحانك، لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم بكل شيء، الحكيم في كل صنع وتدبير. وهذا يدل على تفضيل آدم على الملائكة واصطفائه، بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة، فلا يكون لهم فخر عليه"[٤٣].

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿الْأَسْمَاءَ﴾ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ على المعنى التفسيري:

لقد فضل الله سبحانه آدم عليه السلام على الملائكة، وكان تعليمه الأسماء هو الميزة التي أظهرها الله تعالى للملائكة لبيان فضله عليهم، واختلف أهل التأويل في معنى الأسماء التي علمها لآدم عليه السلام، فقال ابن عباس ﷺ وغيره: علمه أسماء جميع

الأشياء كلها جليلها وحقيرها، وروي عن الحسن بن علي ﷺ قال: كنت جالساً عند ابن عباس ﷺ فذكروا اسم الآنية واسم السوط، فقال ابن عباس ﷺ: وعلم آدم الأسماء كلها، وقد روي هذا المعنى مرفوعا على ما يأتي، وهو الذي يقتضيه لفظ" كلها" إذ هو اسم موضوع للإحاطة والعموم وكذلك قال ابن عباس ﷺ: علمه أسماء كل شيء حتى الجفنة والمحلب. وعن قتادة قال: علم آدم من الأسماء أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة، وسمي كل شيء باسمه، منفعة كل شيء إلى جنسه. قال النحاس: وهذا أحسن ما روي في هذا(٤٤).

وبعد هذا الذي نقلناه من تفسير القرطبي يتبيَّن للباحث الأثر الذي وضَّحه المد الواجب المتصل في كلمة ﴿الْأَسْمَاءَ﴾، ﴿هَؤُلَاءِ﴾ حيث إنَّ معرفة آدم عليه السلام قد امتدَّت للعلم بأسماء كل شيء.

المطلب الثالث عشر

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]

المعنى العام للآية:

إذن فالذين كفروا يحاولون ستر وجود الله سبحانه وتعالى، ويكذبون بالآيات وهي الشيء العجيب اللافت، فهناك في الكون آيات كونية مثل الشمس والقمر والنجوم والأرض، وهناك الآيات وهي المعجزات، فعندما يرسل الله رسولاً أو نبياً إلى قومه فإنه سبحانه يخرق له قوانين الكون ليثبت لقومه أنه نبي مرسل من عند الله سبحانه وتعالى، والذين كذبوا بآيات الله هم الذين يرفضون الإسلام، ويحاربون الدين، والحق سبحانه وتعالى جمع الكافرين والمكذبين بآيات الله في عقاب واحد، وهو قوله: ﴿أولئك أصحاب النار﴾ والصاحب هو الذي يألف صاحبه، ويحب أن يجلس معه، ويقضي أجمل أوقاته، ففي دليل على عشق النار لهم، فهي تفرح بهم، عندما يدخلونها. كما يفرح الصديق بصديقه. ولا تريد أن تفارقهم أبدا(٤٥).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿أولئك﴾ على المعنى التفسيري:

لقد سمَّى العربُ الصديق صاحباً، لأنَّه يصحب صديقه في كل مواقفه وشؤونه، ويطول بينهما المرافقة، وتمتدُّ مع الزمان، والقرآن إنما نزل بلسان العرب، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أولئك أصحاب النار﴾ فهي تصحبهم وتألفهم وتعشقهم، وتمتدُّ هذه الصحبة لتكون النار مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم، وهنا يأتي المد الواجب المتصل في كلمة ﴿أولئك﴾ ليزيد المشهد وضوحاً، وينعكس على فهم القارئ بياناً.

المطلب الرابع عشر

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]

المعنى العام للآية:

يقول البقاعي: "ابتدأ سبحانه بتذكيرهم بما خصهم به عن النوع الآدمي من النعم التي كانوا يقابلونها بالكفران وما عاملهم به من إمهالهم على مرتكباتهم ومعاملتهم بالعفو والإقالة مما يبين سعة رحمته وعظيم حلمه، وابتدأ من أوامرهم بالإيفاء بالعهود التي من أعظمها متابعة هذا النبي الكريم والإيمان بكتابه الذي نفى عنه الريب فقال: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» أي الذي شرفته وشرفت بنيه من أجله".(٤٦)

"وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، قاله الحسن والزجاج، وإنما من عليهم بما أعطى آباءهم، لأن فخر الآباء فخر للأبناء، وعار الآبار عار على الأبناء. والثالث: أنها جمع نعمة على تصريف الأحوال، والمراد من ذكرها: شكرها، إذ من لم يشكر فما ذكر"(٤٧)

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ على المعنى التفسيري:

لقد طالَ الحديث وامتدَّ في سورة البقرة عن بني إسرائيل، بتعداد نعم الله عليهم، من إرسال الرسل، والنجاة من آل فرعون، وفلق البحر، والبعث بعد الموت، بل قد أكثر القرآن من ذكر بني إسرائيل" حتى قال بعض المفسرين: كاد القرآن أن يكون لموسى وقومه"(٤٨)، وأكثر قصَّةٍ ذُكرت في القرآن هي قصة موسى عليه السلام، لذا فإنَّ مجيء كلمة ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ بالمد الواجب المتصل، يتناغم مع امتداد نعم الله عليهم، وكأنَّ القارئ حين يمدُّ حرف الألف، يُعطي لذهنه مساحةً من الوقت لتنظر في كثير نعم الله عليهم، ومع ذلك فلا يؤمنون إلا قليلا.

المطلب الخامس عشر

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]

المعنى العام للآية:

" اذكروا أيها اليهود المعاصرون النعم التي أنعم الله بها على آبائكم، وهي نعم عليكم أيضا بالتبع، اذكروها حتى تقوموا بشكرها وتلجأوا لبارئها، فقد نجى الله آباءكم من فرعون وآله، فإنه كان يذيقكم العذاب الشديد، يذبح أبناءكم الذكور ويترك بناتكم

يحيون، فقد ورد أن فرعون رأى نارا أطلقت من بيت المقدس وأحاطت بمصر، وانزعج من هذه الرؤيا، وفسرت له بأنه سيخرج ولد من بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه فأخذ يقتل الذكور ويترك النساء، ومع هذا فقد نجى الله بني إسرائيل من هذا العذاب المبين، وفي النجاة من الهلاك أو الهلاك اختبار من الله حتى يظهر شكر الناجي وصبر الهالك"(٤٩).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿سُوءَ﴾ ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ ﴿بَلَاءٌ﴾ **على المعنى التفسيري:**

هذه الآية تتكون من سطرين، وجاء به أربع كلمات فيها مد واجب متصل، وهذا يُعطي القارئ تنبيهاً لأمرٍ مُمتد وطويل، لم يكن في مُدَّةٍ قصيرة، وحينما نطَّلع على سيرة بني إسرائيل، وإلى حجم العذاب الذي تلقوه من فرعون وقومه، نُدرك قيمة هذا المد الذي تكرر في هذه الآية أربع مرَّات. فالمد الواجب المتصل في كلمة ﴿«سُوءَ﴾ يُبيِّن للمفسر امتداد هذا السوء لينال كل ما له علاقة ببني إسرائيل، فالسوء قد امتدَّ إلى أنفسهم بإهانتها، وامتدَّ إلى أبنائهم بذبحهم، ونسائهم باستبقائهم، قال الشعراوي: "ما هو السوء؟ إنه المشتمل على ألوان شتى من العذاب كالجلد والسخرة والعمل بالأشغال الشاقة".(٥٠) كذا فالمد الواجب المتصل في كلمة ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ يُبيِّن للمفسر امتداد هذا التذبيح لينال عدد ضخم من غلمانهم الذكور، "عن ابن عباس، قال: قالت الكهنة لفرعون: إنه يولد في هذا العام مولود يذهب بملكك. قال: فجعل فرعون على كل ألف امرأة مائة رجل، وعلى كل مائة عشرة، وعلى كل عشرة رجلا فقال: انظروا كل امرأة حامل في المدينة، فإذا وضعت حملها فانظروا إليه، فإن كان ذكرا فاذبحوه، وإن كان أنثى فخلوا عنها"(٥١). وكذا يُقال في كلمة ﴿نِسَاءَكُمْ﴾، وهذا الامتداد من الامتهانات لا شكَّ أنَّها موضَّحة في المد المتصل في ﴿بَلَاءٌ﴾.

المطلب السادس عشر

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]

المعنى العام للآية:

"واذكروا حين أنزلنا عليكم الطعام الحلو، والطير الشهي، فبطِرتم النعمة كعادتكم، وأصابكم الضيق والملل، فقلتم: يا موسى لن نصبر على طعام ثابت لا

يتغير مع الأيام، فادع لنا ربك يخرج لنا من نبات الأرض طعامًا من البقول والخُضَر، والقثاء والحبوب التي تؤكل، والعدس، والبصل. قال موسى -مستنكرًا عليهم-: أتطلبون هذه الأطعمة التي هي أقل قدرًا، وتتركون هذا الرزق النافع الذي اختاره الله لكم؟ اهبطوا من هذه البادية إلى أي مدينة، تجدوا ما اشتهيتم كثيرًا في الحقول والأسواق. ولما هبطوا تبيَّن لهم أنهم يُقَدِّمون اختيارهم -في كل موطن- على اختيار الله، ويُؤْثِرون شهواتهم على ما اختاره الله لهم؛ لذلك لزمتهم صِفَةُ الذل وفقر النفوس، وانصرفوا ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دين الله، ولأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين ظلمًا وعدوانًا؛ وذلك بسبب عصيانهم وتجاوزهم حدود ربهم"(٥٢).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿وَقِثَّائِهَا﴾ ﴿وَبَاءُوا﴾ **على المعنى التفسيري:**

إنَّ المد الواجب المتصل في كلمة «وَقِثَّائِهَا» يشي للمفسر وللباحث عن المعنى، بأنَّ بني إسرائيل كان لديهم إصرار باستبدال الطعام الذي هو خير، بالطعام الذي هو أدنى. وكذا فالمد الواجب المتصل له أكبر أثر في كلمة ﴿وَبَاءُوا﴾ حيث كما هو واضح من التفسير فالذِّلة لزمتهم في كل أحوالهم، وامتدَّت معهم مع كل زمان، بل امتدَّت مع كل أجيالهم، وهذا الامتداد للذلة تُؤيِّده وتدعمه مجيء كلمة ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ بعدها، وهذا الامتداد للذلَّة لهم هو نتيجة غضب الله عليهم، يقول الدكتور فضل عباس: "فهم في الدنيا أذلاء حقيرون، وفي الآخرة سيرجعون مصحوبين بغضب من الله، بسبب أفعالهم القبيحة"(٥٣).

المطلب السابع عشر

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦٩-٧٠]

المعنى العام للآية:

هاتان الآيتان تُمثِّلان مشهدا ضمن قصة ذبح البقرة والتي سُمِّيت السورة باسمها، وكان موسى عليه السلام قد بيَّن لهم أنَّها متوسطةٌ في السن، "ولكنهم استمروا في ترددهم فقالوا: اطلب لنا من ربك أن يبين لنا لون هذه البقرة، فأجابهم موسى: بأن الله يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة مع صفاء، تُعْجِبُ الناظر إليها لصفاء لونها ووضوحه، ثم لجوا في أسئلتهم فقالوا: ادع لنا ربك يبين لنا شأن هذه البقرة، لأن البقر تشابه علينا، وسنهتدى إليها بمشيئة الله"(٥٤).

أثر المد الواجب المتصل في كلمة ﴿صَفْرَاءُ﴾﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ **على المعنى التفسيري:**

إنَّ الكلمة التي جاءت بعد كلمة ﴿صَفْرَاءُ﴾ هي كلمة ﴿فَاقِعٌ﴾ قال الزجاج في

معاني القرآن: "﴿فَاقِعٌ﴾ نعت للأصفر الشديد الصفرة، يقال أصفر فاقع وأبيض ناصع وأحمر قانٍ"(٥٥)، وهذا يؤكد على ما يُفيده وجود المد الواجب المتصل، حيث امتداد اللون الأصفر في كل جسد البقرة، بحيث لا يُخالطه لونٌ آخر. وأما قولهم «إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فقد كان بعد محاولتين بائستين في عدم عثورهم على البقرة المرادة بحسب ظنِّهم، فنطقت أفواههم بكلمة المشيئة، مُمتدَّة بها أصواتهم، وكأنَّها تحكي حالة المشقة التي حمَّلوها أنفسهم، وجعلت عملية الوصول إلى البقرة تمتد لفترةٍ أكبر.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فالحمد لله الذي أعاننا ووفقنا وأكرمنا لطريق القرآن، وجعلنا من أهل التفسير، وأكرمنا بهذا البحث المُفيد إن شاء الله، وهذه خلاصة لأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أهم النتائج:

١. التجويد من خصائص تلاوة القرآن الكريم، فالقراءة سنة متبعة تُتلقَّى بأداءٍ معين كما ورد عن النبي ﷺ.

٢. حُسن فهم معاني القرآن الكريم متعلقٌ بالتجويد المتقن.

٣. المد الواجب المتصل في القرآن الكريم يجسِّد المعنى الحقيقي لكل كلمة إذا تم أداؤه على الوجه الصحيح.

٤. ظهر أهمية تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم المؤدي إلى حسن تدبر آياته.

٥. القراءة المجودة هي المفتاح الرئيس لتدبر القرآن والتأثر به والتأثير فيه.

٦. الأداء القرآني يعدّ أصدق بيان في إثارة الظواهر الانفعالية، وذلك إذا كان على الصفة الصحيحة المتلقَّاة من حذَّاق المجوِّدين.

٧. الأداء القرآني المتقن وسيلة فاعلة في الجانب الدعوي، واستثمار وسائل الإعلام المعاصرة مطلبٌ مهم في إيصال أصدق كلام وأبلغ برهان إلى العالمين.

ثانيًا: التوصيات:

١. أوصي الباحثين والدارسين من طلبة العلم بإجراء دراسات مستفيضة في هذا الشأن حيت يتوصّلوا إلى تدبر المعاني الحقيقية على وجهها الصحيح من خلال المد الواجب المتصل.

٢. أوصي الباحثين والدارسين من طلبة العلم بعمل أبحاث محكمة في باقي أحكام التلاوة والتجويد، كالمد المنفصل، وأحكام النون الساكنة والتنوين.

٢. أوصي معلمي القرآن الكريم بالتركيز على تطبيق أحكام التلاوة والتجويد وإتقان التلاوة الصحيحة مع تفسير للآيات بشكل مختصر، بالإضافة إلى التدريب على التدبر والتفكر في معاني الآيات القرآنية.

هوامش البحث:

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس/ ج٥ص٢٦٩.
(2) انظر: لسان العرب لابن منظور/ ج٣ص٣٩٧.
(3) انظر: كتاب العين للفراهيدي/ ج٨ص١٧.
(4) انظر: أساس البلاغة للزمخشري/ ج٢ص٢٠٠.
(5) النشر في القراءات العشر لابن الجزري/ ص٣١٣.
(6) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري للمرصفي/ ج١ص٢٦٦.
(7) الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم للحفيان/ ج١ ص٢٢٣
(8) المغني في علم التجويد للجمل/ ص١٤٧.
(9) حلية التلاوة في تجويد القرآن للشقيقي/ ص١٩٩.
(10) الميزان في أحكام تجويد القرآن للعبد / ص١٧٧.
(11) التيسير في القراءات السبع للداني/ ج١ص٣٠.
(12) النشر في القراءات العشر لابن الجزري / ج١ص٣١٥.
(13) صحيح البخاري/ باب مد القراءة/ ج٦ص١٩٥/ رقم الحديث:٥٠٤٥.
(14) انظر: أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد/ ص٥٤
(15) النشر في القراءات العشر لابن الجزري/ ج١ص٢١٢.
(16) إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة لشملول/ ص١٩٩.
(17) انظر: المرجع السابق/ ص٢٠١.
(18) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي/ ج١ص٤٠.
(19) صحيح مسلم/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم/ ج٣ص١٥٢٣/ رقم الحديث: ١٩٢٠.
(20) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود/ ج١ص٣٥.
(21) في ظلال القرآن لسيد قطب/ ج١ص٤٢.
(22) جامع البيان في تأويل القرآن/ ج١ص٢٥٢.
(23) صفوة التفاسير للصابوني/ ج١ص٣٠.
(24) المنتخب في تفسير القرآن الكريم للجنة من علماء الأزهر/ ص٥.
(25) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري/ ج١ص٦٩_٧٠.
(26) صحيح البخاري/ كتاب التفسير/ باب قول الله عز وجل (إن زلزلة الساعة)/ ج٨ص١١٠/ رقم الحديث:٦٥٣٠.
(27) تفسير القرآن الكريم لابن القيم/ ج١ص١١٧.
(28) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي/ ص٤٤.
(29) تفسير القرآن الكريم لابن القيم/ ج١ص١٢١.
(30) السماء والسماوات في القرآن الكريم لحمادة/ موقع شبكة الألوكة.
(31) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للكفوي/ ص٤٩٥.

(32) المد القرآني (دراسة دلالية) لنجيب السودي/ ص٢٦.
(33) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير/ ص٤.
(34) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب/ ج١ص٤٧.
(35) تيسير التفسير لإبراهيم القطان/ ج١ص١١.
(36) الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية/ موضوع حجم الماء في الأرض.
(37) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لراضا/ ج١ص١٥٩.
(38) تفسير الشعراوي – الخواطر / ج١ص٢١٤.
(39) تفسير القرآن العظيم لابن كثير / ج١ص٣٢٢.
(40) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري / ج١ص٤١.
(41) سنن الترمذي/ باب قول النبي "لو تعلمون.." / ج١ص٤١/ رقم الحديث: ٢٣١٢. قال الألباني: حديث حسن.
(42) انظر: المد القرآني (دراسة دلالية) لنجيب السودي/ ص٣٠.
(43) التفسير الوسيط للزحيلي/ ج١ص٢٣.
(44) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي/ ج١ص٢٨٢ .
(45) انظر: تفسير الشعراوي الخواطر/ ج١ص٢٨٤.
(46) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي/ ج١ص٣١٣.
(47) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي/ ج١ص٥٩.
(48) كيف نتعامل مع القرآن للقرضاوي/ ص٤٥٨.
(49) التفسير الواضح لحجازي / ص٣٩.
(50) تفسير الشعراوي – الخواطر/ ج١ص٣٢٥.
(51) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري / ج٢ص٤٣.
(52) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير / ص٩.
(53) التفسير المنهجي لفضل عباس/ ج١ ص٨٢.
(54) المنتخب في تفسير القرآن الكريم لجنة من علماء الأزهر/ ص١٦.
(55) معاني القرآن وإعرابه للزجاج / ج١ ص١٥١.

المصادر والمراجع

١- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢- تفسير القرآن العظيم ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.
٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى.
٤- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم، الناشر: دار الشروق، الطبعة: السابعة عشر.
٥- الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي: أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر الجزائري،نشر:مكتبة العلوم والحكم، طبعة: خامسة.
٧- تفسير الشعراوي الخواطر: محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٨- التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة، الطبعة: الثانية.
٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى.
١٠- صفوة التفاسير: المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني الطبعة: الأولى.
١١- المنتخب في تفسير القرآن الكريم: المؤلف: لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر.
١٢- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، نشر: دار ومكتبة الهلال.
١٣- التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف: د.وهبة بن مصطفى الزحيلي،نشر:دار الفكر، طبعة: أولى.
١٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م
١٥- تيسير التفسير، المؤلف: إبراهيم القطان (المتوفى: ١٤٠٤هـ).
١٦- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٧- أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد/ دراسة تأصيلية/ د. باسم السيد/ دار الحضارة للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.
١٨- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
١٩- لسان العرب: ابن منظور الأنصاري الإفريقى، الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثالثة.
٢٠- كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٢١- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى.
٢٢- النشر في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.
٢٣- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المؤلف: عبد الفتاح بن السيد المصري الشافعي، الناشر: مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية.
٢٤- الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، المؤلف: أحمد محمود عبد السميع الشافعى الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى.
٢٥- الميزان في أحكام تجويد القرآن، المؤلف: فريال زكريا العبد،الناشر: دار الإيمان – القاهرة.
٢٦- التيسير في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثانية.
٢٧- الجامع المسند الصحيح المختصر صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، طبعة: أولى.
٢٨- المسند الصحيح المختصر صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الجيل – بيروت.
٢٩- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة:محمد شملول، دار السلام،مصر،ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م
٣٠- المد القرآني دراسة دلالية: د.نجيب علي السودي، بحث محكم في مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد:٢١.